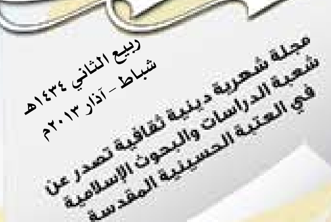


الوارث

توزع مجاناً
٥١

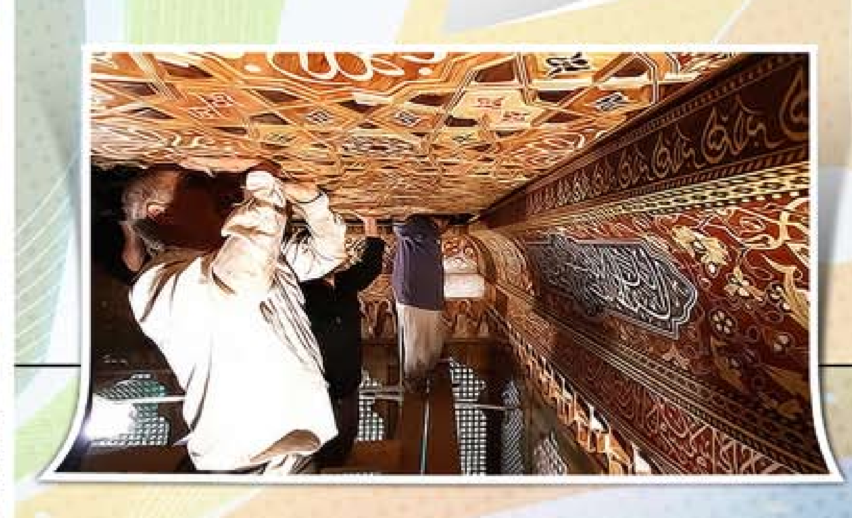


ربيع الثاني ١٤٣٤هـ
شباط - آذار ٢٠١٣م

مجلة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

مراحل انشاء وتركيب
الضريح الجديد للإمام الحسين عليه السلام





بسم الله الرحمن الرحيم

الوارث



إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ١٢١١: ٢٠٠٩

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org



كلمة العدد

علامات العاقل

العقل هو القوة المدركة للحق والباطل والتي نميز بها بين الخير والشر، وهو المخلوق المجرد الذي صار علامة على قيمة المرء وكما له، فلذا جاءت الآيات الكريمة بمدح صاحبه كما في قوله تعالى:

((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)).[1]

وأولوا الألباب في الآية هم أصحاب العقول.

وصرّحت الأحاديث الشريفة بكمال صاحب العقل وسيادته على غيره كما في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«الجمال في اللسان، والكمال في العقل».

وحيث أن الكلام عن العقل واسع وكثير، فلا يمكن أن نحصره في هذه السطور المتواضعة فلذا وجدنا الإشارة إلى علامات فيها الكيل من الفوائد، فنقول أن للعقل علامات نستدل عليها من خلال بعض صفات صاحبه وهي:

ألف: (قال الإمام علي عليه السلام:

«العاقِلُ يَجْتَهِدُ في عَمَلِه، ويُقَصِّرُ مِنْ أَمَلِه».

وقال عليه السلام: «العَاقِلُ يَطْلُبُ الكَمالَ، الجاهِلُ يَطْلُبُ المالَ».

وقال عليه السلام: «العاقِلُ مَنْ وَعَظَتْهُ التَّجارِبُ».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «صِفَةُ العاقِلِ أنْ يَحْلُمَ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْه، وَيَتَجاوَزَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَتَواضَعَ لِمَنْ هُوَ دونَهُ، ويُسابِقَ مَنْ فَوْقَهُ في طَلَبِ البِرِّ، وإذا أرادَ أنْ يَتَكَلَّمَ تَدَبَّرَ؛ فإنْ كانَ خَيْراً تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، وإنْ كانَ شَرّاً سَكَتَ فَسَلِمَ، وإذا عَرَضَتْ لَهُ فِتْنَةٌ استَعْصَمَ بِاللهِ وأمْسَكَ يَدَهُ وَلِسانَهُ، وإذا رَأى فَضيلَةً انْتَهَزَ بِها، لاَ يُفارِقُه الحَياءُ، وَلا يَبْدو مِنْهُ الحِرْصُ، فَتِلْكَ عَشْرُ خِصالٍ يُعْرَفُ بِها العاقِلُ»).[2]

(وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «إنَّ العاقِلَ لا يُحَدِّثُ مَنْ يَخافُ تَكذيبَهُ، ولا يَسْألُ مَنْ يَخافُ مَنْعَهُ، ولا يَعِدُ ما لا يَقْدِرُ عَلَيْه، وَلا يَرجو ما يُعَنِّفُ بِرَجائِه، وَلا يَتَقَدَّمُ عَلى ما يَخافُ العَجْزَ عَنْهُ».

وقال عليه السلام: «إنَّ العاقِلَ اللَّبيبَ مَنْ تَرَكَ ما لا طاقَةَ لَهُ بِه، وأكْثَرُ الصَّوابِ في خِلافِ الهَوى»).[3]

وهناك الكثير من الصفات التي فيها دلالة على وجود العقل ورتبته تركناه للإختصار.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) ميزان الحكمة: ج٦، ص١٢١، ح١٣٥٤٥، ١٣٥٣١، ١٣٥٣٠، ١٣٥٢٩.

(٣) ميزان الحكمة: ج٦، ص١٢٢، ح١٣٥٦١، ١٣٥٦٢.

المشرف العام

تفسير القرآن عند الإمام الحسين عليه السلام

تفسير قوله: (خصمان اختصموا في ربهم)

عن أبي محمد عمار بن الحسين الأسروشني، قال: حدثني علي بن محمد بن عصمة، قال: حدثنا أحمد بن محمد الطبري بمكة، قال: حدثنا ابو الحسن ابن أبي شجاع البجلي، عن جعفر بن عبد الله الحنفي، عن يحيى بن هاشم، عن محمد بن جابر، عن صدقة بن سعيد، عن النضر بن مالك قال: قلت للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: (يا أبا عبد الله حدِّثني عن قول الله عزَّ وجلَّ:

((هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ...)).

قال عليه السلام:

«نَحْنُ وَبَنُو أَمَيَّةَ إِخْتَصَمْنا في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قُلْنا، صَدَقَ اللهُ، وَقالُوا: كَذَبَ اللهُ، فَنَحْنُ وَإِيّاهُمُ الْخَصْمانِ يَوْمَ القِيامَةِ».

وسال سعيد الهمداني الإمام الحسين عليه السلام عن بني أمية، فقال عليه السلام:

«إنَّا وَهُمُ الْخَصْمانِ اللَّذانِ إخْتَصَما في رَبِّهِمْ».

تفسير قوله تعالى: (الذين إن مكّناهم في الأرض)

عن موسى بن جعفر والحسين بن علي عليهما السلام في قوله تعالى:

((ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ...)).

قال عليه السلام:

«هذِهِ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ».

تفسير قوله تعالى: (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)

عن أحمد بن محمد بن الصقر الصائغ، قال: حدثنا عيسى بن محمد العلوي، قال: حدثنا أحمد بن سلام الكوفي، قال: حدثنا الحسن بن عبد الواحد، قال: حدثنا الحارث بن الحسن، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل بن صدقة، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جده الحسين بن علي عليهم السلام قال:

«لمّا أُنْزِلَتْ هذِهِ الآيَةُ عَلى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ:

((...وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ)).

قامَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْ مَجْلِسِهِما فَقالاَ: يا رسول الله هو التّوراة؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا، قالا: فهو الإنجيل؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا.

قال: فَأَقْبَلَ أميرُ الْمُؤْمِنينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ: هُوَ هذا، إِنَّهُ الإمامُ الَّذي أَحْصَى اللّه تَبارَكَ وَتَعالى فِيهِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ».

تفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً)

عن محمد بن العباس، عن عبد العزيز بن يحيى، عن محمد بن زكريا، عن محمد بن عبد الله الجشمي عن الهيثم بن عدي، عن سعيد بن صفوان، عن عبد الملك بن عمير، عن الحسين بن علي صلوات الله

عليهما في قول الله عزّ وجلّ:

((...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ...)).

قال عليه السلام:

«إنَّ الْقَرَابَةَ الَّتي أمَرَ اللّهُ بِصلَتها وَعَظَّمَ حَقَّها وَجَعَلَ الْخَيْرَ فيها قَرابَتُنا أهْلَ الْبَيْت الَّذينَ أوْجَبَ حَقَّنا عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ».

تفسير قوله تعالى: (تراهم ركّعاً سجداً)

قال الإمام الحسين بن علي عليهما السلام في قوله تعالى:

((...تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ...)).

«نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ».

تفسير قوله تعالى: (إن جاءكم فاسق بنبأ)

ورد في كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله: عن الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام في حديث طويل يقول فيه:

«وما أنْتَ يا وَليدُ بْنُ عَقَبَةَ فَوَ اللّه ما ألُومَنَّكَ أنْ تُبْغِضَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلامُ، وَقَدْ جَلَّدَكَ فِي الْخُمُسِ ثَمانينَ جَلْدَةً، وَقَتَلَ أباكَ صَبْراً بِيَدِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، أمْ كَيْفَ تَسُبُّهُ فَقَدْ سَمّاهُ اللّهُ مُؤْمِناً فِي عَشْرِ آياتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَسَمّاكَ فاسِقاً، وَهُوَ قَوْلُهُ:

((...إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ)).

تفسير قوله تعالى: (إنَّ ناشئة الليل)

أخرج ابن المنذر عن الحسين بن علي عليهما السلام أنّه رؤي يصلّي فيما بين المغرب والعشاء، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام:

«إنَّهُما مِنَ النّاشِئَةِ».

تفسير قوله تعالى: (وشاهد ومشهود)

قال الإمام الحسين بن علي عليهما السلام في قوله تعالى:

((وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)).

قال عليه السلام: «الشّاهدُ جَدّي رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمَشْهُودُ يَوْمَ الْقِيامَةِ».

ثم تلا هذه الآية:

((..إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)).

وتلا:

((...ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ)).

تفسير سورة الشمس

روى فرات بن إبراهيم عن علي بن محمد بن عمر الزهري معنعناً: عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«قال الحارث بن عبد الله الأعور للحسين بن علي عليهما السلام: يا بن رسول الله جعلت فداك أخبرني عن قول الله في كتابه المبين:

((وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا)).

قال عليه السلام:

«وَيْحَكَ يَا حَارِثُ ذلكَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

قال: قلت وقوله تعالى:

((وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا)).

قال عليه السلام:

«ذاكَ أميرُ الْمُؤْمنينَ عَلِيُّ بْنُ أبي طالب عَلَيْهِ السَّلامُ، يَتْلُو مُحَمَّداً صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

قال: قلت وقوله:

((وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا)).

قال عليه السلام:

«ذلكَ الْقائمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً وَقِسْطاً».

قال: قلت وقوله تعالى:

((وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا)).

قال عليه السلام:

«بَنُوا أمَيَّةَ».

المصدر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٦٣ ـ ٥٦٧.



علم الظاهر والباطن عند أهل البيت عليهم السلام

حديث الثقلين

إن حديث الثقلين من النصوص التي تمثل مبدأ مرجعية أهل البيت عليهم السلام في الجوانب الفكرية للرسالة.

فقد جاء بصيغ عديدة منها ما رواه الترمذي في صحيحه بسنده عن أبي سعيد؛ والأعمش، عن حبيب بن ثابت، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيها».

حديث الإيمان

روى الحاكم النيسابوري في مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس».

كما ذكر ابن حجر في صواعقه هذا الحديث.

حديث السفينة

وروى الحاكم في المستدرك وغيره كثير، إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول:

«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

حديث الحق

روى الترمذي في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار».

كما روي هذا الحديث بصيغ أخرى منها:

«علي مع الحق، والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة».

حديث القرآن

روى الحاكم وغيره: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«علي مع القرآن، والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

حديث الحكمة

روى الترمذي في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«أنا دار الحكمة وعلي بابها».

وقد شرح المناوي في هامش فيض القدير كلمة (علي بابها): أي علي بن أبي طالب عليه السلام هو الباب الذي يدخل منه إلى الحكمة.

حديث المدينة

روى الحاكم في المستدرك وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب».

حديث الاختلاف

روى الحاكم وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:

«أنت تبيّن لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي».

حديث السؤال

روى جماعة من المحدثين منهم المتقي في كنز العمال، وابن سعد في طبقاته، وابن جرير في تفسيره، وابن حجر في تهذيب التهذيب، وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهم بألفاظ مختلفة أن علي بن أبي طالب (واللفظ للمتقي الهندي في كنز العمال)، قال:

«سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم، سلوني عن كتاب الله فو الله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهر نزلت أم في جبل....».

وبالإضافة إلى هذه الأحاديث وأمثالها الكثيرة، نجد أن الصحابة في عصر الخلافة الأولى كانوا يرجعون إلى علي عليه السلام في مختلف القضايا المهمة والمستعصية وخصوصا في مجال تفسير القرآن والقضاء ومعرفة الشريعة، حيث وردت النصوص الكثيرة والتي صحّحها أصحاب الحديث تؤكد هذا الموقف العملي من الصحابة وهذه الحقيقة الناصعة.

فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه في باب قوله تعالى:

((مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ...)).

بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، حديثا قال فيه: قال عمر: (وأقضانا علي...).

ورواه بقية رجال الحديث مثل الحاكم في المستدرك، وأحمد بن حنبل في مسنده.

كما روى ابن ماجة في صحيحه حديث بسندين عن أنس بن مالك قال: إن النبي قال:

«وأقضاهم علي بن أبي طالب».

وقد روى أبو نعيم في الحلية: عن ابن مسعود قال: (إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب - عليه السلام - عنده علم الظاهر والباطن).

وقد كان يعترف بهذه الحقيقة حتى أعداء علي عليه السلام، أمثال الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي - لعنه الله - حيث يقول: إننا لم ننقم على علي قضاءه، قد علمنا إن عليا كان أقضاهم، وقد رجع أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وحتى معاوية بن أبي سفيان بالرغم من العداء القائم بينهما، وكذلك عائشة وعبد الله بن عمر وغيرهما ممن كانوا يرجعون أو يدلون الناس على الرجوع إلى علي عليه السلام في عدد كبير من القضايا ذكرها كبار رجال أهل الحديث والتاريخ أمثال البخاري وأحمد بن حنبل ومالك بن أنس وابن داود والحاكم والبيهقي وغيرهم.

ولقد كانت مرجعية أهل البيت عليهم السلام حقيقة قائمة على مستوى الواقع العملي لدى الخلفاء وبعض أهل المعرفة من الصحابة، ولكنها كانت عند الضرورة ومواطن الإحراج والإشكال، ولكنها لم يتم الاعتراف بها - مع الأسف الشديد - على المستوى الرسمي للخلافة والحكم لأسباب متعددة.

فهو الأمر الذي جعل الباب مفتوحا أمام الصحابة والتابعين أو غيرهم حتى الأدعياء أنى مارسوا العملية التفسيرية للقرآن الكريم من خلال المستوى العام لفهم القرآن الكريم.

وقد ظهرت معالم الخلل في هذا الانفتاح الواسع على مرجعية الصحابة دون التمييز بين هذه الخصائص الفريدة التي كان يختص بها أهل البيت عليهم السلام وفي مقدمتهم علي عليه السلام وبين بقية الصحابة الذين تناولوا القليل من العلم فضلا عن أولئك الأشخاص الذين لم يكونوا في الحقيقة من أصحاب النبي وإنما كانوا من (الأدعياء) الذين حاولوا أن يتسلقوا على هذا الموقع الروحي المقدس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فألصقوا أنفسهم به.

ولعل خير ما يصوّر لنا بدايات هذا الخلل ووجود هذين المستويين من التفسير ما رواه الكليني والصدوق وغيرهما عن سليم بن قيس الهلالي، عن علي عليه السلام.

قال سليم: (قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئا من تفسير القرآن وأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون بأن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل علي وقال:

«قد سألت فأفهم الجواب إن في أيدي الناس حقّاً وباطلاً وصدقاً وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حتى قام خطيباً، فقال: (أيها الناس قد كثرت عليّ الكذّابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، ثم كذب عليه من بعده، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

رجل منافق يظهر الإيمان متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لما قبلوا منه، ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا صحب رسول الله ورأوه وسمعوا منه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم، فقال عزّ وجل:

((وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ...)).

ثم بقوا بعده... فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحفظه على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذبا فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه.

ورجل ثالث: سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع: لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبغض للكذب خوفا من الله، وتعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع، لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله الكلام له وجهان، كلام عام وكلام خاص مثل القرآن».

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٨.

تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:
«أَمّا بَعْدُ: فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ كَقَطَرَاتِ المَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْس بِما قُسِمَ لَهَا، مِنْ زِيَادَة أَوْ نُقْصَان، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لاَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْل أَوْ مَال أَوْ نَفْس فَلاَ تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً! فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَيُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَة مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ. وَكَذلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللهِ فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْل وَمَال، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ، وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الاْخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللهُ تَعَالَى لاَِقْوَام».

نظرة إلى الخطبة

استهل الإمام عليه السلام خطبته بتقسيم رزق الإنسان وما قسم له على ضوء التقدير والتدبير الإلهي، ثم أوصى عليه السلام بأن من رأى لأخيه نعمة فلا ينبغي أن يكن له البغض أو الحسد كما لا ينبغي أن يغتر إن جنى ثروة فيضحي بدينه وإيمانه من أجلها، ثم دعا عليه السلام الناس إلى الإخلاص والورع والتقوى وصفاء النية وصلاح العمل بعيداً عن الرياء والعجب والفخر.

الرضا والتسليم أمام إرادة الله

أشار الإمام عليه السلام. في هذه الخطبة. إلى مسألة مهمّة ذات أثر عظيم في تهذيب النفوس والحد من جموح الفرد والمجتمع.

فوجود الفوارق بين بني البشر من حيث الاستعداد والقابليات الجسمية والروحية على المستوى الفردي والاجتماعي; أدّى إلى التفاوت الفاحش في الإمكانات المادية والمالية. ومن هنا بدت ردود الفعل السلبية للأفراد الذين تخلفوا عن هذه المسيرة، أو سعوا بتخبط للخلط بين الحلال والحرام ليزجوا بأنفسهم في هذا السباق غير المتكافئ والمجهول النهاية في مصاف من تقدّم عليهم من حيث الجوانب المادّية ولم يكن أمامهم سوى سبيلين، إمّا الشعور بالإحباط واليأس والانسحاب من ميدان العمل والنشاط والتقوقع على الذات، أو اشتعال نيران الحسد والبغض في قلوبهم تجاه أُولئك والهم بالانتقام منهم. من جانب آخر فإنَّ البعض الذي يتمتع بالإمكانات قد يصاب بالغرور والكبر والعجب والفخر فيندفع نحو الطغيان والفساد والانحراف.

والآيات القرآنية والروايات الإسلامية بدورها ودرءاً لهذه المفاسد والحيلولة دون ظهورها قد لفتت أنظار الجميع إلى حقيقة مفادها أنّ هذه الفوارق والزيادة والنقصان ليست مسألة عبثية بقدر ما هي واقع يستند إلى الحكمة الإلهية التي تنظم شؤون العباد على أساس ما يصلحهم ويقوم حياتهم. ولعل الأسرار التي يختزنها هذا التصنيف خافية علينا نحن العباد في أغلب الأُمور، إلاّ أنّ مجرد علمنا بأنّ الله حكيم ورحمن ورحيم هو الذي ينظم الأُمور وتشعر قلوبنا الرضا والتسليم لهذا التنظيم والتخطيط; فإنَّ القضية ستتغير وتخرج من شكلها الظاهري، آنذاك ستسود السكينة والطمأنينة قلوبنا وأرواحنا وستزول كافة تلك العواقب السلبية التي بدت لنا لأول وهلة. ومن هنا تواتر التأكيد على الرضا والتسليم ولاسيّما بالنسبة للرزق في الآيات والروايات.

نعود الآن بعد هذه المقدمة المختصرة إلى تفسير الخطبة، فقد تطرق الإمام عليه السلام في بداية خطبته عن تهذيب النفوس ووضع حدّ للمفاسد الاجتماعية، فقد قال عليه السلام: «أمّا بعد: فان الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى كلّ نفس بما قسم لها، من زيادة أو نقصان» فالتشبيه بقطرات المطر تشبيه غاية في الروعة; لأنّ قطرات المطر تنزّل بصورة مختلفة على الأرض وفقاً للإرادة الإلهية والحكمة الربانية، والأرزاق الإلهية تسقط على هذه الشاكلة من السماء إلى البشرية على الأرض بفضل الله ورحمته. فقد ينزّل المطر بغزارة على بعض المناطق حتى تسيل أنهاراً عظيمة بينما قد تشهد مناطق اُخرى زخات خفيفة من المطر طيلة السنة. ثم يخلّص الإمام عليه السلام إلى هذه النتيجة التي ينبغي أن يستحضرها الناس: «فاذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس، فلا تكونن له فتنة».

وما يجدر ذكره أنّ الفتنة هنا لا تعنى الامتحان، وإن وردت عادة بهذا المعنى في الأعم الأغلب، بل المراد بها ما يدعو إلى الفساد والخداع وردود الأفعال السلبية من قبيل الحسد والعداوة والبغضاء التي



يمارسـها الفقراء المعدومون حيال أصحاب الأموال والثراء.

ثم قال عليه السـلام: «فان المرء المسـلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس، كان كالفالج الياسـر الـذي ينتظر أول فورة مـن قداحه توجب له المغنم، ويرفع بها عنه المغرم».

فكما أنّ المسـلمين البعيدين عن الخيانة إنّما ينتظرون من الحق سـبحانه أمرين: أمّا حلـول الأجل الإلهي وقد أفنى عمره بطيب السـمعة وحسـن العاقبة، فما عند الله خير له وأبقى.

وأمّـا أنْ يوسّـع الله عليـه رزقـه في هذه الدنيا ويمّن عليـه بالصاحبة والأهل والولد في سـلامة من دينـه وصون لعزتـه وكرامته «وكذلـك المـرء المسـلم البريء مـن الخيانة ينتظـر من الله إحدى الحسـنيين: إمّا داعي الله فما عنـد الله خـير لـه، وإمّـا رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال، ومعه دينه وحسبه».

ولكن لابدّ من الإذعان إلى الفارق الكبير بينهمـا فأحدهما من قبيل زرع الدنيا كالمال والولـد، والآخر من زرع الآخـرة وهو العمل الصـالح «وإنَّ المـال والبنـين حـرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة».

وقـد يجمـع الله سـبحانه نعـم الدنيـا والآخرة لبعض الأفـراد «وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام».

والواقـع هـو أنّ الإمام عليه السـلام قد كشـف بهـذه العبـارات عـن حقيقـة مهمّـة ومصيرية في حياة الإنسان تكمن في ضرورة عـدم تلوثه بالذنـوب والمعاصـي والإرجاس الـتي لا تجـر عليهـم سـوى الخـزي والعار والسـقوط مـن أعـين النـاس والحـد مـن شخصيته لديهم.

وبنـاءً علـى مـا تقـدّم فـإنّ هنـاك أحد مصيرين رفيعين بانتظار الفرد الذي يعيش النقـاء والعفّـة في حياتـه، أنْ يقضى حياته معـززاً مكرماً ليحث السـير نحو رحمة الله ومغفرتـه وأجـره وثوابـه. أو أن يفيـض الله عليـه من نعـم الدنيا في هذه الحيـاة الدنيا ويجمع له خير الدارين.

الرضـا والتسـليم إلى جانـب السـعي والعمل

لعـل هنالـك من يقـول بـأنّ روح الرضا والتسليم لأمر الله في الرزق وفي المنافع المادية بصورة عامّة إنّما تهدأ النفس البشرية وتحدّ من جماحها وتحوّل دون الإنسـان والارتماء في ميادين الحرص والطمع وجباية الأموال واللهث وراء الثروة والانغماس في المحرمات كمـا تصـدّه عـن استشـعار معـني الحسـد والبغـض، إلاّ أنّ مثل هذا الشـعور قد يقتل عنـد الإنسـان روح السـعي والمثابـرة بحيث يتشـبّث كلّ فرد بذريعة من الذرائع من قبيل أنّ الأرزاق مقسّـمة وكلّ قـد سـمّـى الله لـه رزقـه ونصيبه فيخلد إلى السـكون والدعة والكف عن العمل، فما جدوى ذلك والأرزاق قـد قسـمت؛ الأمر الذي يـؤدي بالتالي إلى تخلّف الأمّـة في المجال الاقتصادي والتطور المادي واجتثاث جذور الفقر والحرمان.

إلاّ أنّ هـذا الإشـكال قـد يـزول إذا مـا ألتفت إلى أمرين: الأول هو أنّ هذه التعاليم الإسـلامية والوصايا الأخلاقية إنّما توخّت الحـد مـن تهافـت الإنسـان علـى الماديات وتناسـيه لكل ما سواها. والأمر الثاني يكمن ضـرورة جمع كافة الآيات والروايات الواردة بهذا الشـأن من أجل التوصّـل إلى النتيجة النهائيـة بخصـوص التعاليـم الإسـلامية؛ لأنَّ القضايـا الإسـلامية المحوريـة لا تبـدو واضحـة المعـالم مـن خـلال آيـة واحـدة أو حديث واحد.

والذي يفهم من مجموع الايات والروايات أنّ الضعف والوهن في كسب المعاش وتحصيل الرزق الكريم ليس صحيحاً، كما أن الحركة الحريصة والممزوجة بالذنب والمعصية التي تفرزها طبيعة تجاهل التقدير الإلهي والتوكّل على الله هي الأخرى ليست صحيحة أيضاً. وبعبـارة أُخـرى، صحيح أنّ الرزق قد قسـم من جانب الله، غير أنَّ ذلك مشروط بشرط السـعي والجهـد المقـرون بالخلـق والتقوى والورع.

ونختتـم البحـث بمـا ورد في الحديـث النبوي الشريف بشأن مقام الرضا والتسليم في أنّ طائفة من المسـلمين تطير من قبورها يـوم القيامة إلى الجنّة لتتنعّـم بنعيمها دون أن تشـهد الحسـاب فتسـألهم الملائكـة عن الحسـاب والجـواز على الصـراط، فتجيب أنّها لم تر الحساب والصراط. وتسـألهم عن جهنّـم، فيجيبوا بعدم رؤيتها. فيسـألون من أيّـة أُمتم أنتم؟ فتقول مـن أُمّة محمد صلى الله عليه وآله) فتقسـم عليهـم الملائكة عن أعمالهـم الـتي أدّت بهم إلى هـذه الكرامة، فيقولون: «كنا إذا خلونا نسـتحي أن نعصيه ونرضى باليسـير ممّا قسِّـم لنا» فتقول لهم الملائكة: «حقّ لكم هذا».

معنى وصف الإمام الحسين عليه السلام بالوتر المَوْتور

جاءت لكلمة الوتر والموتور معانٍ متعددة في كتب اللغة نستعرض منها فيما يلي ما ينسجم ويتناسب مع أجواء الزيارة:

المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد في الكمال

ربما أطلقت العرب الوتر على العدد وقصدت به الشيء الواحد الفرد الذي ليس بزوج، قال ابن منظور: (وتر: الوتر والوتر: الفرد أو ما لم يتشفع من العدد) (لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ٢٧٣ فصل الواو، وراجع أيضا تاج العروس للزبيدي ج٧ ص٥٧٩ مادة وتر).

وربما أطلقت العرب الوتر على من يتصف بصفة لا يشاركه احد غيره بها، كإطلاقهم الوتر على نبي الله آدم عليه السلام لأنه أول موجود بشري خلقه الله سبحانه، فلما خلقت حواء أم البشر شفع بها قال ابن منظور: (وروي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: الوتر آدم عليه السلام، والشفع شفع بزوجته) وكذا قال الزبيدي في تاج العروس (المصدر السابق).

والوتر صفة من صفات الله سبحانه (لأنه البائن من خلقه الموصوف بالوحدانية من كل وجه ولا نظير له في ذاته ولا سمي له في صفاته ولا شريك له في ملكه، فتعالى الله الملك الحق) (راجع مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج ٤ ص ٤٦٢ باب الواو).

فيتبين من مجموع ما مر ان من معاني الوتر هو الموجود المتفرد بصفة أو صفات لا يشاركه فيها أحد غيره. وهذا المعنى متحقق في شخص الإمام الشهيد عليه السلام، والى هذا أشار العلامة المجلسي قدس الله روحه بقوله: (وتر الله أي الفرد المتفرد في الكمال من نوع البشر في عصره الشريف) (بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٩٨ ص ١٥٤).

ووجه تحقق هذا المعنى في شخص الإمام الحسين عليه السلام: من حيث انه من الخمسة أهل الكساء عليهم السلام الذين كانوا في عصر وجودهم الشريف أفضل أهل الأرض وأكملهم، والمتفردين بكل مراتب الكمال من سائر الأنام، فلما فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وارتحل من دار الفناء، وارتحلت من بعده ابنته الصديقة الشهيدة عليها السلام، والتحق بهما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مغدورا مسلوب الحق، وبعد مدة ليست بالطويلة التحق بهما ابنهما الإمام الحسن عليه السلام المسموم المهتضم،بقي الإمام السبط الحسين بن علي عليه السلام بعد رحيل هؤلاء الأطهار وحيد أهل زمانه بالفضل، والمتفرد من دونهم بالكمال، فانطبق عليه لقب الوتر الذي بمعنى المتفرد في الكمال من نوع البشر. لذا كان فقده عليه السلام يوم عاشوراء فقدا لعامة أهل الكساء الأطهار، لان بركة وجوده المبارك كانت مذكرة بهم، وسادة مسد غيبتهم وفقدهم، فلما فقد من الدنيا أثره، ورفع من بين العالمين شخصه، بانت وحشة فراقهم، ورفعت من بين العالمين ألطاف وجودهم.

وقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام بهذا المعنى يوم عاشوراء، حينما خطب في جيش البغي والظلم بقوله: (فانسبوني وانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه، أوليس حمزة سيد الشهداء عمي، أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي، أو لم يبلغكم

ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة... أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي...) (الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ٩٧ - ٩٨خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء)، فبقوله هذا أراد عليه السلام من الأمة أن تعي وتفهم ان وجوده بين ظهرانيهم فرصة ونعمة لن تتكرر، وسترفع منهم إلى يوم القيامة فيما لو قوبلت بالجحود والنكران، وهو ما حدث بالفعل.

وكلام السيدة زينب العقيلة عليها السلام مع أخيها الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء يدل دلالة واضحة على هذا المعنى، فحينما سمعت العقيلة زينب عليها السلام أخاها الإمام الحسين عليه السلام يردد ليلة العاشر أبياتا من الشعر مشهورة ومذكورة في كتب المقاتل، علمت انه قد عزم على الموت، وان فقد هذا الموجود العظيم بات وشيكا، وان فرصة وجوده في الحياة الدنيا صارت قصيرة جدا، فأحست بعظم المصيبة، وبهول الخطب، فصاحت: (وا ثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين) (مثير الأحزان لابن نما الحلي ص ٣٥ المقصد الأول على سبيل التفصيل للأحوال السابقة لقتال آل الرسول).

فمن كلامها عليها السلام نستكشف ان أشخاص أصحاب الكساء عليهما السلام وقيمهم وكمالاتهم كانت مجتمعة جملة وتفصيلا في الإمام الحسين عليه السلام، وان فقده كان يمثل فقدا للكل، كما ان الاعتداء عليه كان يمثل اعتداءً على جميع أولئك الأطهار.

ومن هنا أيضا نفهم سبب مخاطبة الزائر للشهداء الذين دافعوا عن الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ونصروه وذبوا عنه بأرواحهم وأجسامهم بقول: (السلام عليكم يا أنصار رسول الله السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين السلام عليكم يا أنصار فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الزكي الناصح الولي السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله) (المزار للشهيد الأول ص ١٢٩ زيارة الشهداء رضوان الله عليهم) ، فان كل من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله السلام والإمام أمير المؤمنين والزهراء والإمام الحسن عليهم السلام لم يكونوا بموجودين يوم عاشوراء بأشخاصهم وأبدانهم المادية حتى يتم نصرتهم من قبل أولئك الشهداء الكرام، ولكن ولان شخص الإمام الحسين عليه السلام قد جمع كمالات بقية أصحاب الكساء عليهم السلام عُدّت نصرته نصرة لهم والذب عنه ذباً عنهم عليهم السلام.

المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قُتِلَ حميمُه وأُفرِد

قال الزبيدي في تاج العروس: (والموتور المفعول، وتقول منه: وتره يتره ترة ووترا، إذا قتل حميمه فأفرده منه) (تاج العروس للزبيدي ج ٧ ص ٥٨٣ مادة وتر) وهكذا كان حال الإمام الحسين بن علي عليه السلام فقد قتل أولاده وفلذات أكباده وإخوته وبنو أخيه وبنو عمومته وأصحابه بتلك الصورة المريعة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا أبدا، وأعداء الحسين عليه السلام ما استطاعوا أن يقتلوه ويصلوا إليه إلا بعد أن افردوه ووتروه، وهي لأصحابه ولأهل بيته فضيلة ليست كمثلها فضيلة، إذ ان وجودهم كان مانعا عن قتله، وبذلهم لمهجهم كان دافعا لوصول شتى أنواع الأذى عن شخصه المبارك فجزاهم الله خيرا عن إمامهم وعن أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيل ولم يدرك بدمه

قال الجوهري في الصحاح: (والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه) (الصحاح للجوهري ج ٢ ص ٨٤٣ فصل الواو)، وقال ابن منظور: (والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، تقول منه: وتره يتره وترا وترة) (لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ٢٧٣ - ٢٧٦ فصل الواو).

والإمام الحسين عليه السلام لم يُدرك دم أبنائه وأهل بيته وأصحابه من أولئك الأجلاف الطغاة اللئام، والى اليوم ما زال صوته عليه السلام يدوي ويتردد في آذان الزمان، وهو يستغيث ولا يغاث، ويستجير ولا يجار، ويستنصر ولا ينصر، رافعا صوته قائلا:

هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هل من موحد يخاف الله فينا.

هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا.

هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا.

هل من راحم يرحم آل الرسول المختار.

هل من ناصر ينصر الذرية الأطهار.

هل من مجير لأبناء البتول.

هل من ذاب يذب عن حرم الرسول.

لكنه عليه السلام لم يجد جوابا لكل استغاثاته إلا صرخات خرجت من حناجر النسوة الثواكل، ولم يغاث بغير دموع تفجرت بها عيون أيتامه وأيتام البقية من أهل بيته الذين تقدموه بالشهادة، فهو الموتور الوحيد الخائف الطريد الذي فاقت وحدته كل وحدة وعظمت غربته على كل غربة.

فسلام عليك أبا الشهداء (سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته دونك، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندبنك صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب).

سوء الظن



سوء الظن بالخالق والمخلوق

وهو من نتائج الجبن وضعف النفس، إذ كل جبان ضعيف النفس تذعن نفسه لكل فكر فاسد يدخل في وهمه ويتبعه، وقد يترتب عليه الخوف والغم، وهو من المهلكات العظيمة، وقد قال الله سبحانه:

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ...)).

وقال تعالى:

((وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ ...)).

وقال تعالى:

((...وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا)).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا».

ولا ريب في أن من حكم بظنه على غيره بالشر، بعثه الشيطان على أن يغتابه أو يتوانى في تعظيمه وإكرامه، أو يقصر فيما يلزمه من القيام بحقوقه، أو ينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه.

وكل ذلك من المهلكات، على أن سوء الظن بالناس من لوازم خبث الباطن وقذارته، كما أن حسن الظن من علائم سلامة القلب وطهارته، فكل من يسيء الظن بالناس ويطلب عيوبهم وعثراتهم فهو خبيث النفس سقيم الفؤاد وكل من يحسن الظن بهم ويستر عيوبهم فهو سليم الصدر طيب الباطن، فالمؤمن يظهر محاسن أخيه، والمنافق يطلب مساويه، وكل إناء بما فيه ينضح.

والسر في خباثة سوء الظن وتحريمه وصدوره عن خبث الضمير وإغواء الشيطان: أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لأحد أن يعتقد في حق غيره سوءا إلا إذا انكشف له بعيان لا يقبل التأويل، إذ حينئذ لا يمكنه ألا يعتقد ما شاهده وعلمه، وأما ما لم يشاهده ولم يعلمه ولم يسمعه وإنما وقع في قلبه، فالشيطان ألقاه إليه، فينبغي أن يكذبه، لأنه أفسق الفسقة، وقد قال الله:

((إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ...)).

فلا يجوز تصديق الفاسق في نبأه، وإن حف بقرائن الفساد، ما احتمل التأويل والخلاف، فلو رأيت عالما في بيت أمير ظالم لا تظنن أن الباعث طلب الحطام المحرمة، لاحتمال كون الباعث إغاثة مظلوم، ولو وجدت رائحة الخمر في فم مسلم فلا تجزمنّ بشرب الخمر ووجوب الحد، إذ يمكن أنه تمضمض بالخمر ومجه وما شربه، أو شربه إكراها وقهرا، فلا يستباح سوء الظن إلا بما يستباح به المال، وهو صريح المشاهدة، أو قيام بينة فاضلة.

ولو أخبرك عدل واحد بسوء من مسلم، وجب عليك أن تتوقف في إخباره من غير تصديق ولا تكذيب، إذ لو كذبته لكنت خائنا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب، وذلك أيضا من سوء الظن، وكذا إن ظننت به العداوة أو الحسد أو المقت لتتطرق لأجله التهمة، فترد شهادته، ولو صدقته لكنت خائنا على المسلم المخبر عنه، إذ ظننت

بـه السـوء، مع احتمـال كون العـدل المخبر ساهيا، أو التباس الأمر عليه بحيث لا يكون في إخباره بخلاف الواقع آثما وفاسقا.

وبالجملـة: لا ينبغـي أن تحسـن الظـن بالواحد وتسئ بالآخر، فتذكر المذكور حاله علـى مـا كان في السـتر والحجـاب، إذ لم ينكشـف لك حاله بأحد القواطع، ولا بحجة شـرعية يجب قبولهـا، وتحمل خـبر العدل علـى إمكان تطرق شـبهة مجـوزة للإخبار، وإن لم يكن مطابقا للواقع.

ثـم المراد بسـوء الظـن هو عقـد القلب وميـل النفس دون مجـرد الخواطر وحديث النفـس، بل الشـك أيضـا، إذ المنهي عنه في الآيات والأخبار إنما هو أن يظن، والظن هو الطرف الراجح الموجب لميل النفس إليه.

والأمـارات الـتي بهـا يمتـاز العقـد عن مجـرد الخواطـر وحديث النفس، هـو أن يتغير القلب منه عما كان من الألفة والمحبة إلى الكراهـة والنفـرة، والجوارح عما كانت عليه من الأفعال اللازمة في المعاشـرات إلى خلافها.

والدليـل على أن المراد هو ما ذكر، قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ثلاث في المؤمن لا تستحسـن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ألا يحققه».

أي لا يحقـق في نفسـه بعقد ولا فعل، لا في القلب ولا في الجوارح.

ثـم لكون سـوء الظن من المهلكات، منع الشـرع من التعرض للتهمـة، صيانة لنفوس النـاس عنـه، فقـال صلـى الله عليـه وآلـه وسلم:

«اتقوا مواقع التهم».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«من عرض نفسـه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن».

وروي أنه صلى الله عليه وآله وسـلم كان يكلـم زوجتـه صفيـة بنت حي ابـن أخطب، فمـر به رجـل من الأنصـار، فدعاه رسـول الله، وقال:

«يا فلان! هذه زوجتي صفية».

فقـال: يـا رسـول الله! أفنظـن بـك إلا خيرا؟ قال:

«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فخشيت أن يدخل عليك».

فانظر كيف أشـفق رسول الله صلى الله عليـه وآله وسـلم على دينه فحرسـه، وكيف علـم الأمة طريق الاحتراز عن التهمة، حتى لا يظن العالم الورع المعروف بالتقوى والدين أن الناس لا يظنون به إلا خيرا، إعجابا منه بنفسه، فإن ما لا جزم بتحققه في حق سيد الرسـل وأشـرفهم، فكيف يجزم بتحققه في حق غيره، وإن بلغ من العلم والورع ما بلغ.

والسر في ذلك: أن أورع الناس وأفضلهم لا ينظـر النـاس كلهم إليه بعـين واحدة، بل إن نظـر إليه بعضهم بعين الرضا ينظر إليه بعض آخر بعين السخط:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن السخط تبدي المساويا

فـكل عـدو وحاسـد لا ينظـر إلا بعـين السـخط، فيكتم المحاسـن ويطلب المساوئ، وكل شـرير لا يظـن بالنـاس كلهم إلا شـرا، وكل معيـوب مفتضـح عند النـاس يحب أن يفتضـح غـيره وتظهـر عيوبـه عندهم، لأن البليـة إذا عمت هانت، ولأن يشـتغل الناس به فلا تطول ألسنتهم فيه.

فالـلازم لـكل مؤمن ألا يتعـرض لموضع التهمـة حتى يوقع الناس في المعصية بسـوء الظـن، فيكـون شـريكا في معصيتهم، إذ كل من كان سـببا لمعصية غيره يكون شـريكا له في هذه المعصية، ولذا قال الله تعالى:

((وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ...)).

وقـال رسـول الله صلـى الله عليـه وآلـه وسلم:

«كيف ترون من يسب أبويه؟».

فقالوا: هل من أحد يسب أبويه؟ فقال:

«نعم! يسب أبوي غيره فيسبون أبويه».

طريق المعالجة في إزالة سوء الظن

بعد تذكر ما تقدم من فسـاد سوء الظن وما يأتي من فضيلة ضده: أنه إذا خطر لك خاطر سوء على مسلم: لا تتبعه، ولا تحققه، ولا تغير قلبك عما كان عليه بالنسـبة إليه، مـن المراعـاة والتفقـد والإكـرام والاعتمـاد بسـببه، بـل ينبغـي أن تزيـد في مراعاتـه وإعظامـه وتدعو له بالخير، فإن ذلك يقنط الشـيطان ويدفعـه عنـك، فـلا يلقـي إليك خاطـر السـوء خوفـا من اشـتغالك بالدعاء وزيادة الإكرام.

ومهمـا عرفت عثرة من مسـلم فانصحه في السر ولا تبادر إلى اغتيابه، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على عيبه، لتنظر إليه بعين الحقارة، مع أنه ينظر إليك بعـين التعظيـم بـل ينبغي أن يكـون قصدك اسـتخلاصه من الإثم، وتكـون محزونا كما تحزن على نفسـك إذا دخـل عليك نقصان، وينبغـي أن يكـون تركه ذلـك العيب من غير نصيحتـك أحب إليك مـن تركه بنصيحتك، وإذا فعلـت ذلـك جمعت بين أجـر نصيحته وأجـر الحـزن بمصيبته وأجـر الإعانة على آخرته.

المصدر: جامع السعادات للمحقق النراقي.

(التفويض) و(الجبر)

يرى الذين يعتقدون بالتفويض أن الله قد خلقنا وترك كل شيء بيدنا ولا يعود أي دخل له في أعمالنا وأفعالنا، وبناءً على ذلك يكون لنا الحرية الكاملة والاستقلال التام فيما نفعل بلا منازع!

لا شك في أن هذا لا يتفق ومبدأ التوحيد، إذ أن التوحيد قد علمنا أن كل شيء ملك لله، وما من شيء يخرج عن ناق حكمه، بما في ذلك أعمالنا التي نقوم بها مختارين وبملء حرية إرادتنا، وإلاّ فذلك شرك.

وبعبارة أوضح: ليس بالإمكان القول بوجود إلهين، أحدهما هو الإله الكبير، خالق الكون، والآخر الإله الصغير، أي الإنسان الذي يعمل مستقلاً وبكل حرية بحيث أن الله الكبير لا يستطيع أني تدخل في أعماله!

هذا، بالطبع شرك وثنائية في العبادة، أو إنه تعدد في المعبود، فعلينا إذن أن نعتبر الإنسان صاحب اختيار فيما يفعل، وفي الوقت نفسه نؤمن بأن الله حاكم عليه وعلى أعماله.

المدرسة الوسط

إن النقطة المهمة والدقيقة هنا هي أن لا يختلط علينا الأمر فنحسب هذين الأمرين متناقضين، الدقة في الأمر هي إننا نؤمن بـ(عدالة) الله إيماناً تاماً، وأن نؤمن في الوقت نفسه بحرية عباد الله ومسؤوليتهم، وبـ(التوحيد) وشمول حكمه عالم الوجود كله وهذا هو ما يعبر عنه أنه (الأمر بين الأمرين)، أي الأمر الوسط بين معتقدين متطرفين غير صحيحين.

ولما كان هذا الموضوع على شيء من التعقيد، فسنورد مثالاً توضيحياً.

أفرض أنك تقود قطارا كهربائيا في سفرة، فلابد أن يكون هنالك سلك كهربائي قوي يمتد فوق القطار، تنزلق عليه الحلقة المتصلة بالقطار، فيتحرك هذا بانتقال طاقة كهربائية قوية من محطة لتوليد الكهرباء إلى ماكنة القطار باستمرار، بحيث لو انقطع التيار لحظة واحدة لتوقف القطار فوراً.

بديهي أنك قادر أن تتوقف أثناء الطريق حيثما تشاء، ولك أن تزيد من سرعة القطار أو أن تخفف منها، ولكنك على الرغم من حريتك هذه، فإن الشخص القائم على إدارة محطة توليد الكهرباء قادر في أية لحظة أن يوقف حركتك، وذلك لأن قدرتك كلها تعتمد على تلك الطاقة الكهربائية التي يتحكم فيها شخص غيرك.

فإذا دققنا النظر في هذا المثال نجد أنه على الرغم من حرية سائق القطار في الحركة والسكون، إلاّ أنه يقع في قبضة شخص آخر وأن هذين الأمرين لا يتعارضان.

مثال آخر

أفرض إن شخصاً أصيبت أعصاب يده بالشلل على أثر حادث مؤسف، فلا يستطيع تحريكها، ولكننا إذا أوصلناها بطاقة كهربائية خفيفة أمكن إيصال الحرارة إليها بحيث تتمكن من التحرك.

فإذا ارتكب هذا الشخص بتلك اليد جريمة، فقتل شخصاً أو صفع أحداً، فإن مسؤولية ذلك لا شك تكون عليه، لأنه كانت له القدرة والإرادة، وإن الشخص إذا ملك (القدرة والإرادة) يكون مسؤولاً عن أعماله.

ولكن في هذا المثال فإن الشخص الذي يوصل القوة الكهربائية إلى يد الجاني فيولّد فيها القدرة يكون هو المسيطر الحاكم عليه، في الوقت الذي يكون فيه هذا مالكاً لحرية إرادته واختياره.

لقد وهبنا الله القدرة والقوة، ومنحنا العقل والذكاء، وهي طاقات لا ينقطع وصولها إلينا من الله، ولو توقف فيض لطف الله عنا لحظة واحدة وانفصمت رابطتنا به لقضي علينا قضاءً تاماً.

إننا إذا كنا قادرين على إنجاز عمل، فقدرتنا هي التي وهبها الله لنا وما زالت تصل إلينا باستمرار غير منقطع، بل إن حرية إرادتنا أيضاً من عنده، أي أنه هو الذي أرادنا أن نكون أحراراً في إرادتنا، لكي نواصل مسيرتنا نحو

التكامل بهذه الهبات الإلهية.

بناءً على ذلك، فإننا في الوقت الذي نملك فيه حرية إرادتنا واختيارنا، نظل تحت سيطرة القدرة الإلهية ولا يمكن أن نخرج من نطاق حكمه، إننا في لحظة القدرة والقوة نكون مرتبطين به تعالى، ولا يمكن أن نكون شيئاً بدونه، هذا هو معنى (الأمر بين الأمرين)، إذ إننا بهذا لا نكون قد وضعنا أحداً على قدم المساواة مع الله ليكون شريكاً له، ولا نكون قد اعتبرنا عباد الله مجبرين في أعمالهم لنقول إنهم مظلومون، فتأمل!

لقد تعلمنا هذا الدرس من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فعندما كان الناس يسألونهم عما إذا كان هناك سبيل بين (الجبر والتفويض) كانوا يقولون: نعم، أرحب مما بين السماء والأرض.

القرآن ومسألة الجبر والتفويض

يؤكد القرآن المجيد في هذه المسألة على حرية إرادة الإنسان بجلاء ووضح في المئات من الآيات التي تصرح بحرية إرادة الإنسان.

أ. جميع الآيات التي تتناول الأوامر والنواهي والفرائض تدل على حرية إرادة الإنسان في اختيار سبيله، إذ لو كان الإنسان مجبراً في أعماله لما كان ثمة معنى في الأمر والنهي.

ب. جميع الآيات التي تذم المسيئين وتمدح الصالحين دليل على حرية الإرادة، وإلاّ فلا معنى في الذم والمدح إذا كان الإنسان مجبراً.

ج. جميع الآيات التي تتحدث عن الحساب يوم القيامة ومحاكمة الناس في تلك المحكمة، ثم الحكم بالعقاب أو بالثواب، أي النار والجنة، إن هي إلاّ دليل على حرية الإنسان في ما يعمل، لأنه بالفرض والإجبار لا يكون هناك معنى للمحاسبة والمحاكمة، ويكون إنزال العقاب بالمسيئين ظلماً محضاً.

د. جميع الآيات التي تدور حول قوله تعالى:

((كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ))، ((...كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)).

تدل دلالة واضحة على حرية إرادة الإنسان.

هـ. ثمة آيات مثل:

((إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)).

واضحة الدلالة على هذا الأمر.

إلاّ أن هناك آيات في القرآن المجيد تعتبر دليلاً على (الأمر بين الأمرين)، غير أن بعض الجهلاء يخطئون فهمها فيرونها دليلاً على (الجبر)، منها:

((وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ...)).

من الواضح أن هذه الآية وأمثالها لا تعني تجريد الإنسان من حرية الاختيار، بل تريد أن تؤكد للإنسان إنه في الوقت الذي يكون فيه تام الحرية والاختيار، لا يخرج عن أمر الله.

المصدر: سلسلة أصول الدين للشيخ ناصر مكارم الشيرازي. : ص٦٥ -





مالك الأشتر النخعي

اسمه ونسبه

هو مالك بن الحارث، بن عبد يَغوث، بن سَلمة، بن ربيعة، بن يَعرُب بن قحطان.

ولُقِّب بـ(الأشتر) لأن إحدى عينيه شُترَت - أي شُقّت - في معركة اليرموك.

ولادته

لم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخاً محدِّداً لولادته، ولكن توجد قرائن تاريخية نستطيع من خلالها معرفة ولادته على وجهٍ تقريبي تخميني.

فقد قُدِّرت ولادته بين سنة (٢٥ - ٣٠) قبل الهجرة النبوية الشريفة.

مواقفه

عاصر مالك الأشتر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه لم يره ولم يسمع حديثه، وذكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنه المؤمن حقاً.

وهذه شهادة تعدل شهادة الدنيا بأسرها، كما عُدَّ مالك من بين المجاهدين الذين أبلَوا بلاءً حسناً في حروب الردَّة.

وذُكر أنه في جملة المحاربين الشُّجعان الذين خاضوا معركة اليرموك، وهي المعركة التي دارت بين المسلمين والروم سنة (١٣ هـ).

وثمَّة إشارات تدل على أن مالكاً كان قبل اليرموك يشارك في فتوح الشام، ويدافع عن مبادئ الإسلام وقيمه السامية، ويدفع عن كيان الإسلام وثغور المسلمين شرور الكفار.

وحين دَبَّ الخلاف والاختلاف بين المسلمين في زمن عثمان، بسبب مخالفة البعض لتعاليم القرآن الكريم وسنة النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم لم يَسَع الأشترَ السكوتُ.

فجاهد في سبيل الله بلسانه عندما رأى عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل قد كُسر ضلعه، وأُخرج بالضرب من المسجد النبوي.

ونال عمّارُ بن ياسر من العنف والضرب ما ناله ، وهو الصحابي الشهم المخلص المضحي.

ولقي أبو ذرّ ما لقي من النفي والتشريد، وقطع عطائه والتوهين بكرامته، وهو الذي مُدح مدحاً جليلاً على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولاؤه لأمير المؤمنين عليه السلام

وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وحكومته، كانت مواقف مالك الأشتر واضحةً جَليَّة المعالم.

فهذا العملاق الشجاع أصبح جُندياً مخلصاً لأمير المؤمنين عليه السلام، فلم يفارق الإمام عليه السلام قطٌّ، كما كان من قَبلِ تَسَلُّم الإمام لخلافَتِهِ الظاهرية.

فلم يَرد ولم يصدُر إلا عن أمر الإمام علي عليه السلام حتى جاء المدح الجليل على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، فكان أن كتب عليه السلام في عهده له إلى أهل مصر، حين جعله والياً على هذا الإقليم:

«أما بعد، فقد بَعثتُ إليكم ــ أي إلى أهل مصر - عبداً من عباد الله، لا ينام

أيّامَ الخوف، ولا يَنكُل عن الأعداء ساعاتِ الرَّوع، أشدُّ على الفُجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مَذْحِج.

ولهذا القول الشريف مصاديق مشرقة، فقد كان لمالك الأشتر هذه المواقف والأدوار الفريدة:

أولاً: قيل أنه أول مَن بايَعَ الإمامَ علياً عليه السلام على خلافته الحقة، وطالب المُحجمين عن البيعة بأن يقدموا ضمانة على أن لا يُحدِثوا فِتَناً، لكن أمير المؤمنين عليه السلام أمره بتركهم ورأيَهُم.

ثانياً: زَوَّد أميرَ المؤمنين عليه السلام بالمقاتلين والإمدادات من المحاربين في معركة الجمل الحاسمة، مستثمراً زعامته على قبيلة مذحج خاصة، والنَّخَع عامة، فحشَّد منهم قواتٍ مهمة.

فيما وقف على ميمنة الإمام عليه السلام في تلك المعركة يفديه ويُجندِل الصَّناديد، ويكثر القتل في أصحاب الفتنة، والخارجين على طاعة إمام زمانهم.

ثالثاً: وفي مقدمات معركة صفين عمل مالك الأشتر على إنشاء جسر على نهر الفرات ليعبر عليه جيش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فيقاتل جيش الشِّقاق والانشقاق بقيادة معاوية بن أبي سفيان.

وكان له بَلاء حَسَن يوم السابع من صفر عام (٣٧ هـ) حين أوقع الهزيمة في جيش معاوية.

ولمّا رفع أهل الشام المصاحف، يخدعون بذلك أهل العراق، ويستدركون انكسارهم وهلاكهم المحتوم، انخدع الكثير، بَيْد أن مالكاً لم ينخدع ولم يتراجع حتى اضطَرَّهُ أمير المؤمنين عليه السلام إلى الرجوع.

كما اضطُرَّ إلى قبول صحيفة التحكيم - وكان لها رافضاً - خضوعاً إلى رضى إمامه عليه السلام.

شعره وأدبه

لما كان مالك الأشتر صاحب تلك المواقف الشامخة حاول بعضهم أن يهملوا شعره ويطمسوه، لكنهم لم يفلحوا في إطفاء الشمس.

ومن خصائص شعر مالك أن الغالب عليه غرضُ الحماسة والبطولة، وهو انعكاس للصراع الخطير والمرحلة التاريخية الحساسة التي كان يمر بها الإسلام.

وقد جادت به قريحته النابضة الحَيَّة فيه، ولعل الشعر البُطُولِيِّ هو الغالب العام في قصائده، بما يمتاز به من سلاسة وروعة.

نذكر هذين البيتين كنموذج قالهما لعمرو بن العاص في صفين:

يا ليت شعري كيف لي بعمرو
ذاك الذي أجبت فيه نذري
ذاك الذي أطلبه بوتري
ذلك الذي فيه شفاء صدري

وإلى موهبته الشاعرية الهادفة كان الأشتر ذا قوة خطابيّة فائقة، مشفوعة بحُجَّةٍ واضحة، وقدرة نادرة على تقديم البراهين المقنعة والأجوبة المُفحِمة.

من خطبه

وكان من خطبه في أحد أيام صفين قوله

(الحمد لله الذي جعلَ فينا ابنَ عمِّ نبيِّه، أقدَمَهُم هجرة، وأوّلَهُم إسلاما، سيفٌ من سيوف الله صَبَّه على أعدائه، فانظروا إذا حمِيَ الوَطيسُ، وثار القَتام، وتكسَّر المُرَّان، وجالَت الخيلُ بالأبطال، فلا أسمع إلا غَمغمةً أو همهمة، فاتَّبِعوني وكوني في أثري).

إستشهاده

وبعد حياة حافلة بالعز والجهاد، وتاريخ مشرق في نصرة الإسلام والنبوة والإمامة، يكتب الله تعالى لهذا المؤمن الكبير خاتمةً مشرِّفة، هي الشهادة على يد أرذل الخَلْق.

فكان لأعداء الله طمع في مصر، لقربها من الشام ولكثرة خراجها، ولتمايل أهلها إلى أهل البيت عليهم السلام وكراهتهم لأعدائهم.

فبادر معاوية بإرسال الجيوش إليها، وعلى رأسها عمرو بن العاص، ومعاوية بن حديج ليحتلَّها.

فكان من الخليفة الشرعي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن أرسل مالكَ الأشتر رضوان الله عليه والياً له على مصر.

فاحتال معاوية في قتله داسّاً إليه سُمّاً بواسطة الجايستار ـ وهو رجل من أهل الخراج ـ.

وقيل: كان دهقان القُلْزُم، وكان معاوية قد وعد هذا ألا يأخذ منه الخراج طيلة حياته إن نفذ مهمته الخبيثة تلك.

فسقاه السم وهو في الطريق إلى مصر، فقضى مالك الأشتر رضوان الله عليه شهيداً عام (٣٨ هـ).(١)

عن إبن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في أحداث سنة ثمان وثلاثين وما وقع فيها قال:

(وولى الأشتر النخعي مصر، وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين، فكتب إليه فاستقدمه عليه، وولاه مصر، فلما بلغ معاوية تولية الأشتر النخعي مصر بدل محمد بن أبي بكر، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه; لجرأته وشجاعته، فسار الأشتر إليها، فلما بلغ القلزم إستقبله الجايسار، وهو مقدم علي على الخراج، فقدم إليه طعاما، وسقاه شراباً من عسل فمات منه، فلما بلغ ذلك معاوية وعمرا وأهل الشام قالوا: إن لله لجنوداً من عسل.

وأن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحتال على الأشتر ليقتله...الخ).(١)

فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.



رحى فاطمة عليها السلام

روى محمد بن جرير الطبري (الشيعي) بسنده إلى المفضل بن عمر، قال: حدثني أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: قال سلمان الفارسي رضي الله عنه:

خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وأنا أريد الصلاة، فحاذيت باب علي بن أبي طالب عليه السلام فإذا أنا بهاتف من داخل الدار وهو يقول:

«أشتد صداع رأسي، وخلا بطني، ودبرت كفاي من طحن الشعير».

فمضني القول مضاً شديداً، فدنوت من الباب فقرعته قرعاً خفيفاً، فأجابتني فضة، جارية فاطمة عليها السلام فقالت: من هذا؟ فقلت: أنا سلمان، ابن الإسلام. قالت: وراءك يا أبا عبد الله، فإن ابنة رسول الله من وراء الباب، عليها اليسير من الثياب؟ فأخذت عباءتي فرميت بها داخل الباب فلبستها فاطمة عليها السلام، ثم قالت:

«يا فضة قولي لسلمان يدخل، فإن سلمان منا أهل البيت ورب الكعبة».

فدخلت فإذا أنا بفاطمة جالسة وقدامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل قد أفضى إلى الحجر، فحانت مني التفاتة فإذا أنا بالحسن بن علي في ناحية من الدار يتضور من الجوع، فقلت جعلني الله فداك يا ابنة رسول الله، قد دبرت كفاك من طحن الشعير وفضة قائمة؟ فقالت:

«نعم يا أبا عبد الله أوصاني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون الخدمة لها يوم ولي يوم، فكان أمس يوم خدمتها، واليوم يوم خدمتي».

قال سلمان: فقلت: جعلني الله فداك، إني مولى عتاقة، فقالت:

«أنت منا أهل البيت».

قلت: فاختاري أحد الخصلتين: إما أن أطحن لك الشعير أو أسكت لك الحسن؟ قالت:

«يا أبا عبد الله، أنا أسكته فإني أرفق، وأنت تطحن الشعير».

قال: فجلست حتى طحنت جزءاً من الشعير، فإذا أنا بالإقامة، فمضيت حتى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما فرغت من الصلاة أتيت علي بن أبي طالب وهو بيمنة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجذبت رداءه، وقلت: أنت ها هنا وفاطمة قد دبرت كفاها من طحن الشعير؟! فقام وإن دموعه لتتحدر على لحيته، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لينظر إليه حتى خرج من باب المسجد؛ فلم يمكث إلا قليلاً، فإذا هو قد رجع يتبسم من غير أن تستبين أسنانه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا حبيبي خرجت وأنت باك ورجعت وأنت ضاحك؟».

قال عليه السلام:

«نعم بأبي أنت وأمي، دخلت الدار وإذا فاطمة نائمة مستلقية لقفاها، والحسن نائم على صدرها، وقدامها الرحى تدور من غير يد».

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال:

«يا علي، أما علمت أن لله ملائكة سائرة في الأرض يخدمون محمد وآل محمد إلى أن تقوم الساعة».

دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص١٤٠ ــ ١٤١؛ الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج٢، ص٥٣١؛ البحار للمجلسي: ج٤٣، ص٢٨؛ بيت الأحزان للشيخ عباس القمي: ص٣٦.

شرح الصحيفة السجادية

الحلقة الثانية والعشرون

الدعاء الأول

(..وَجَنِّبْنَا مِنَ الالْحَادِ وَالشَّكِّ فِي أَمْرِهِ،.....).

قيل: هي دلالة الإرشاد والهداية والإخلاص، وهو: الصفاء وترك الرياء والابتعاد عن عناوين الشرك، والتوحيد لغة جعل الشيء واحدا واصطلاحا الإقرار بوحدانية الله وتنزه مقامه عن الشبيه، والمشارك؛ وجنبته الشر: أبعدته عنه؛ والإلحاد: الطعن في الدين والميل عنه؛ والشك: التردد في القبول وهو خلاف اليقين.

لقد ملأت الآيات والبراهين الدالة على ربوبيته ووحدانيته الكون لتشكل مجتمعة متفرقة مداخل إيمان بتفرده تعالى بالألوهية، وتساهم في نبذ الشرك وطرد الريبة والشك والوسواس ضمن إطار الصدق في التوكل عليه سبحانه والثبات على الصالحات.(١)

وقيل: كلمة (من) هنا إما للبيان أو زائدة، والإلحاد هو (الميل)، وهو يشمل الإلحاد في الذات والصفات والأفعال والأسماء، فالإلحاد في الذات يشمل القول بالشريك، وفي الصفات يشمل القول بزيادتها على الذات، وفي الأفعال يشمل نسبة أفعاله إلى غيره وأفعال غيره إليه، وأما الإلحاد في الأسماء فقد أشار إليه في القرآن الكريم:

((...وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ...)).

أي يسمونه بما لا توقيف فيه؛ أو بما يوهم معنى فاسداً، كقولهم: يا أبا المكارم يا أبيض الوجه، أو إنكارهم ما سمى به نفسه، كقولهم: ما نعرف إلا رحمن اليمامة، أو إطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها، كاللات من الله والعزى من العزيز.(٢)

وقيل: جنبت الرجل الشر جنوبا من باب (قعد): أبعدته، عنه، وجنّبته بالتّثقيل مبالغة، كأنه مأخوذ من جعل الشيء جانباً، وعدّاه بمن لتضمينه معنى الإبعاد أو المفعول محذوف.

وكلمة (من) بيانية؛ وكلمة (الإلحاد): في الأصل الميل والعدول عن الشيء، ثم قيل: ألحدَ الرّجل في الدّين: أي: إذا طعن فيه كأنه عدل منه.

وقيل: ألحد إلحاداً جادل ومارى.

والمراد بالشك هنا: معناه اللغوي الذي عرّفه أئمة اللغة بقولهم: الشك خلاف اليقين، فقولهم خلاف اليقين: هو التردد بين شيئين سواء إستوا طرفاه أو رجّح أحدهما على الآخر، قال تعالى: (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك)، قال المفسرون: أي غير مستيقن.

وهو يعمّ الحالتين فهو أعم من الشكّ الاصطلاحي الذي هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك.

وعلى المعنى الأول ورد قول أبي عبد الله عليه السلام: «من شكّ في الله تعالى وفي رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر».

وعلى المعنى الثاني ورد قوله عليه السلام: «من شك أو ظن فأقام على أحدهما أحبط الله تعالى عمله إنّ حجة الله هي الحجة الواضحة».

فعطف الظن على الشك لإرادة معناه الاصطلاحي.

وقوله عليه السلام (في أمره)، أي: في معرفة ذاته وصفاته، أو في دينه وشرعه، كما فسّر به قوله تعالى: (وظهر أمر الله).

و(الأمر): الشأن، وقد يطلق عند الحكماء على الذات المقدّسة فيقولون: هو الأمر المحض الذي لا يعلّل.(٣)

وقال الشاعر:

مُبْعِداً لِلْعِبَادِ عَنْ كُلِّ كُفْرٍ
وَارْتِيابٍ فِي أَمْرِهِ وَامْتِراءٍ(٤)

---

(١) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص١٢.

(٢) نور الأبصار في شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري: ص٣٦.

(٣) رياض السالكين للسيد علي المدني الشيرازي: ص٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٤) الصحيفة السجادية بنظم عبد المنعم الفرطوسي: ص٢٢.





التصور والارتباط بالأب

يرتبط الطفل بأمّه منذ ولادته وطفولته ارتباطاً شديداً ويحمل تصوراً عنها بأنّها هي التي تحقق آماله وأحلامه، ويسعى لينظر إلى دنياه من خلالها ويتعلم منها ويبذل في سبيلها ويفتديها.

ويدخل الأب إلى عالم الطفل منذ الشهر الثاني ليشغل حيّزاً من ذهنه وتصوره.

وينمو الطفل ويحيط علماً تدريجياً بالأدوار المتعددة لوالده.

فهو سيدرك أن هذا الوجه الجديد هو والده وملاذه ومعينه ومرشده ومعلمه وقائده والأهم من ذلك فإنه رازقه.

صحيح أن دور الأب لا يقل عن دور الأم في بعض الموارد، لكنه يمكننا ملاحظة الدور المهم والبنّاء للأب من خلال ما ذكرناه، فهو يجسّد الإحساس والعقل والعلم في الأسرة وينظر الطفل إليه من خلال هذا المنظار.

التصورات الأخرى

عندما يكبر الطفل تدريجيا فإنه يبدأ بتمييز الأدوار المختلفة لأعضاء أسرته وينتظر من كل واحد ما يناسب دوره.

فمثلا ينظر إلى والده بأنه مثالاً للعلم والاقتدار والعدل وتنفيذ القانون، وينظر إلى أمّه بأنها تمثل الحب والعاطفة والحنان.

وعليه أن يلجأ إلى أبيه فيما لو شعر بالخطر، وإلى أمّه فيما لو شعر بحاجته إلى الحنان.

وقد يتحلى الآباء بموجب طبائعهم وأخلاقهم بصفات كالعطف، والقسوة مما سيحمل الأطفال نفس هذا الانطباع عنهم، أو قد تتغير الطبيعة فتؤدي إلى تغير انطباع الطفل أيضاً.

وتختلف تصورات الأطفال عن آبائهم باختلاف العلاقة والتعامل، ويحكمون على آبائهم من خلال ما يحملون من تصورات حيث يدخل في ذلك نوعية العلاقات والفترة الزمنية التي يحددها الأب لأسرته وأطفاله ومدى أنسهم به.

ولابد أن نشير إلى هذه الملاحظة وهي أن الطفل يرغب دائما أن يكون والده - سواء شاهده أو لم يشاهده - كما يجب ملهماً له ومعيناً ومرشداً ليرسم في مخيلته تصوراً خاصاً عنه.

ويحاول الطفل الاستئناس والتسلي بهذه التصورات، وحري بالأب أن يقدم لولده المبادئ والأصول حتى تكون تصوراته بنّاءة وإيجابية.

الوجه البارز في الأسرة

ينظر الطفل إلى والده من خلال أنه الوجه البارز في الأسرة وله مكانة خاصة في ذهنه ونفسه ويهتم بما يقوله أو يفعله.

فهو يعتبره الأعلم والأقوى والأجمل من بين جميع الكائنات ويتمنى أن يكون مثله ويلجأ إلى تقليده عادة.

ينتبه الطفل عندما يبلغ عامين أو ثلاثة إلى أبيه ويبذل جهوداً في سبيل إظهار احترامه له ويلتزم بحده ولا يتجاوز.

ويعود السبب في ذلك لكونه يحمل تصوّراً عن والده بأنّه شخصية عظيمة تمتاز بالعقل ولا يمكن لأيّ إنسان أن يبلغ شأنه.

ويُعجب الولد بأبيه لاقتداره، ويكون قدوته في حياته، ويقف بكامل قوته أمام أي طفل يحاول النيل منه ويدافع عنه، ولا يمكنه أن يصدق أبداً بوجود من هو أهم منه في المجتمع، وهذه نظرة عميقة حتى لو لم يكن الأب بمستواها.

يتعامل الطفل مع أبيه في البيت تعاملاً رسمياً بسبب هذا الإحساس ويراعي الأدب ويضعه حائلاً بينه وبين أبيه بينما نراه يتصرف بحرية كاملة مع أمه، وقد يلجأ أحيانا إلى الارتباط بأبيه عن طريق أمه.

التشبه بالأب

يسعى الطفل كثيرا إلى التشبه بوالده وذلك للأهمية التي يضعها للأب ولسلوكه البطولي.

ويعتقد علماء نفس الطفل أن الذكور (٣ - ٦ سنوات) يعتبرون آبائهم مثالاً لابد أن يقتدى به دائما وأن قداسته لا يمكن مسّها أبداً حتى يصل بهم الأمر أحياناً إلى الإفراط.

فالطفل ينظر لأبيه أنه مصدر القوة إذ يمكنه أن يستخدم قوته وقدرته في مجالات عديدة، وأن يحقق أحلامه وأمنياته ويحميها، وينبغي أن يحسب له ألف حساب ويعتمد على قوّته في الحياة، وأنه الخبير والمدافع عن أمن الأسرة ويتمنى الطفل كثيراً أن يكون مثله.

كما يهوى الطفل كثيراً التشبّه بأبيه فيحقق شخصيته ومكانته عن هذا الطريق ليلفت أنظار

الآخريـن إليه لينال مديحهم فيشـعـر بالفخر جرّاء ذلك.

الأب وتوفير الحاجات

ينظـر الطفـل إلى الأب على أنه الـرازق الذي يوفـر حاجـات الأسـرة، فعيـون أعضـاء الأسـرة شـاخصة إلى يديه وتترقبه في الليل لتشـاهد ماذا يحمل فيهما أو في حقيبته.

إنّه مسؤول عن شراء الملابس والأحذية والخبز والحلويات إلى أطفاله، وأن يوفّر لهم بيئة مناسـبة وأرضية جيدة للنشوء.

وأن يحقق جميع المسـتلزمات الحياتية الأخرى كـي يتربى الطفـل في كنفه أفضـل تربية، فقد جاء في حديث عن الرسـول الأكـرم صلى الله عليه وآله وسلم: «يحسبون أنكم ترزقونهم».

وتترسخ هذه الفكرة في ذهن الطفل أكثر فأكثر كلما زاد سنه، ويحمل الحدث تصورا عن أمه بأنها مصـدر للحب والحنان والعطف فقط وأن الأب هو الذي يؤمّن مسـتلزمات المعيشـة من المأكل والملبس وغـير ذلك ويحقق الانضباط، فالأم تشـبع حاجته إلى الحنان بينما يلبّي الأب حاجاته الأخرى.

الأب وتوفير الأمن

يحمـل الطفـل انطباعا عـن والده بأنـه القادر دون غـيره علـى توفـير الأمـن لأسـرته، ولابد من اللجـوء إليه وطلـب حمايته عندما يتعـرّض هو أو باقي أفراد الأسرة لخطر معين.

ويمكـن لـلأب فقـط أن يزرع الأمـل في القلوب فيما لو حدثت أية مشكلة في المجتمع.

وينال الأب مديح الطفل لأنّه الأقوى في الأسرة والـذي يقوم بتوفير حاجاتـه، ولا يحق لأي مخلوق في ظـل تواجـد الأب أن يعتدي على حقوق الأسـرة وحريتهـا أو يتطـاول للنيـل مـن كرامتها، ويشـعـر الطفـل من خلالـه بالقوة فيمشـي مرفـوع الرأس متكلاً عليه.

الأب ومصدر العلم والفكر

يرتبط الطفل بواسـطة أبيه بالعالم المحيط به، فهو مصدره في العلم والمعرفة.

ويعتقد بأنه يعرف كل شيء ويحمل تصورا عنه بأنه الأفضل والأعلم والأكثر ثقافة بين الناس حتى لو كان الأب أميا في حقيقته.

ويبقى هذا التصور حتى ذلك اليوم الذي يدرك فيه الطفل معنى العلم والدراسة والمدرسة.

يتصـور الطفـل أن والده عليـم بجميع القواعد والمبـادئ ويدرك مـاذا عليه أن يفعل والمواقف التي لابـد أن يتخذها، فهـو لا يمكنه أن يفرق بين والده وبين عالم ديني أو بروفسور.

لـذا نـراه يدافـع عـن علمـه ومعرفتـه، ولهذه الصفـات يحب الطفل والده ويرغب دائما أن يكون إلى جانبه ويفتخر أمام الآخرين بعظمته وأهميته، ويشـعـر بالاستقرار والسـكن إلى جانبه لأنه يحقق له الخير الكثير.

كما أننا نرى الذين يحملون وجهات نظر سلبية عـن آبائهم كيف يتعصبون لهم ويمتدحون أفكارهم عـدا أولئـك الذين وصلوا مرحلة البلوغ لشـعورهم بالأفضليـة على غيرهـم فقد يلجـأون أحياناً إلى استصغار آبائهم واحتقارهم.

تحذير إلى الآباء

رغـم ما قيل عن إيجابيات الآباء ودورهم البنّاء إلاّ أنـه قد ينظـر إليهم الأبناء أحياناً نظرة سـلبية فيكرهونهـم، وذلك عندما يفشـل الأب في التعامل مع ولده ويحتقر نفسه.

يلجـأ بعض الآباء إلى التعامل مـن موقع القوة والاقتـدار فقـط مـع أولاده وذلـك لكـي يخشـونه ويهابونه، وقد يستخدمون العنف أحياناً ويحطمون شخصية الولد أمام أصدقائه.

إننـا نعلـم أن الآبـاء لا يعـادون أولادهـم وإنما يلجـأون الى هـذه الأسـاليب مـن أجـل خيرهـم وصلاحهم، ولكن الطفل لا يستسيغ هذه الأساليب أبداً.

وهذا هو سـبب العديد من المشاكل القائمة بين الوالدين وأولادهما خاصة عندما يكونوا في سـني الأحداث والبالغين، إذ يشـعـر الولد أنه أصبح قوياً مقتـدراً ولا ضـرورة للتنازل لوالده أو الاستسـلام لأفكاره وإنه محق في تصرفاته ولم يرتكب أي ذنب أو خطأ ولابد أن يعارض والده.

ينبغـي على الأب أن يمارس دوره بشـكل يجعل الطفـل يؤمـن بعدالتـه وعطفـه، وهـذا يتطلب أن يراقـب الأب دائمـاً تصرفاته وأعمالـه، كما وعليه أن يـدرك أن أفضليتـه على ولده إنمـا تعود لعلمه وقابليته ومدّ يد العون إليه، لا قدرته وقوته.

المصـدر: دور الأب في التربيـة للدكتـور علـي القائمي: ص٣٨ - ٤٣.



الاستخارة والنجاة من الهلاك

سمعت آية الله الحاج السيد محمد علي المددي ــ وهو من علماء مشهد المقدسة ـ نقلاً عن آية الله الحاج السيد موسى الزنجاني الشبيري ــ وهو من علماء قم المقدسة ــ أن العالم الورع المرحوم الحاج الشيخ إبراهيم كلباسي رحمه الله كان يستخير الله تعالى في كل شيء.

فذات مرة دعاه أحد المؤمنين إلى مائدة ودعا على شرفه جمعاً من الأشخاص والوجهاء، فوافق الشيخ وهو ناس للاستخارة كما كانت عادته.

ولكنه تذكرها قبل أن يحين الموعد، فاستخار وجاءت خيرته للذهاب إلى الدعوة غير جيدة.

فاعتذر للرجل عن المجيء، إلا أن علامات عدم الارتياح ظهرت على وجه الرجل، فقال: أنا دعوت أولئك الجمع على شرفك، فكيف أخبرهم الآن بانتفاء الدعوة!

وكأني بك أيها القارئ ترفع صوتك على الشيخ تضامنا مع شعور صاحب الدعوة فتقول: أهذا وقع الاستخارة يا شيخ!؟

ولكن الشيخ تدارك الموقف وقدّر إحساس الرجل فقال له: إذن قل لهم أن الدعوة قد انتقلت إلى بيتنا، فأتوني جميعاً، وكان هذا هو الحل الوسط حيث لا ينفي الدعوة فينحرج الرجل مع المدعوّين ولا يخالف الشيخ استخارته.

والعجيب بل المدهش أنه وبينما كان المدعوّون قد انتهوا من الأكل في بيت الشيخ، وإذا بنبأ يداهمهم، وهو أن سقف الحجرة في بيت الرجل الداعي والتي كان الضيوف يفترض جلوسهم فيها قد سقط وانهارت الحجرة! فالجميع وبما فيهم الرجل رفعوا أيديهم شكراً لله تعالى أنهم لم يكونوا تحته.

وبالطبع قبّلوا يد الشيخ كلباسي رحمه الله وزاد اعتقادهم في استخارته.

وهل زاد اعتقادك أنت أيضاً؟



الورع والتواضع

كان الشيخ عباس القمي رحمه الله ذا ورع شديد، وقد أثبت ذلك في عدة مواقف.

ففي إحدى المواقف استجاب لطلب المؤمنين لإقامة صلاة الجماعة في مسجد (كوهرشاد) بمدينة مشهد المقدسة في حرم سيدي ومولاي الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وفي أحد الأيام وبعد إتمام صلاة الظهر قال لمن حوله: لا أستطيع أن أصلي العصر وخرج وعطل الجماعة إلى آخر الشهر (وكان شهر رمضان المبارك) فلما سُئِل عن السبب قال: كنت في الركعة الرابعة فسمعت صوتاً ينادي من بعيد (يا الله، إن الله مع الصابرين) - يريد به الإقتداء بالجماعة ــ فدخلني السرور لكثرة المأمومين، فأدركت إني لست أهلاً لإمامة الجماعة، لأن من شروطها عدم العُجب الذي هو أساس الرياء.

وكان يظهر تواضعه الخاص لأهل العلم ورواة الحديث ولا يفضل نفسه على غيره، ففي أحد الأيام كان الشيخ على المنبر فدخل مجلسه الملا عباس تربتي وهو أحد العلماء الأبرار من تربة حيدرية (منطقة في مدينة خراسان) وجلس في إحدى الزوايا ولما التفت الشيخ إليه خاطب الحاضرين: إن الحاج آخوند (الملا تربتي) حاضر، فاستفيدوا منه، ثم نزل من المنبر وطلب منه أن يرتقي المنبر بدلا عنه حتى آخر الشهر.

المصدر: قصص وخواطر للشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني: ص٢٥٣ ـ ٢٥٧.

النمل الأبيض (الأرضة)

تعد آفة الأرضة من الحشرات الاقتصادية المهمة[1]، والواسعة الانتشار في معظم مناطق العالم وخاصة في الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية، وذلك لتوافر درجات الحرارة المناسبة للمعيشة، حيث أنها تغزو منطقتنا العربية بالكامل وغيرها من المناطق.

وتأتي أهميتها من الأضرار الكبيرة التي تحدثها حيث أنها تغزو معظم البساتين والحدائق المنزلية، وتكاد لا تخلو بساتين النخيل والأشجار متساقطة الأوراق من الإصابة بهذه الحشرة.

تعيش هذه الحشرات في مستعمرات إذا زاد أفراد المستعمرة عن الحد المعقول بالنسبة لكمية الغذاء المتاح، فإن هذه الحشرات تدرك هذه الحقيقة عن طريق الغريزة، فتبدأ الأفراد في التهام عدد كبير من البيض، وبذلك يسهم في حل مشكلة زيادة أفراد المستعمرة ومشكلة الغذاء، إذ أن التهام البيض يعتبر تغذية في نفس الوقت يقلل من عدد الذرية.

إن هذه الحشرات لا تدرك لماذا تفعل ذلك ولكنها النفحة الإلهية التي تلهمها لعمل ما لا يمكن أن تدركه، والنمل الأبيض أو الأرضة هو ليس نملاً بالمعنى الحقيقي حيث يتصل الصدر والبطن في النمل الأبيض مباشرة وبدون خصر، والنمل الأبيض حشرة كانسة كما يتسم بحياته السرية ويتغذى أساساً على مادة السيليولوز.

لقد وجدوا في داخل الجهاز الهضمي لأفراد هذه الحشرات حيوانات دقيقة أولية يتكون جسمها من خلية واحدة، وهذه الحيوانات الأولية تفرز أجسامها إفرازات تحوّل الخشب إلى مواد غذائية قابلة للهضم هي التي تغذي النمل الأبيض.

وتعيش هذه الحشرات في مساكن ترتفع عن سطح الأرض عدة أمتار وتصنعها الحشرات من مادة غريبة هي خليط من لعابها وبعض المواد الأخرى، وهي أقوى من الاسمنت المسلح، ولا يمكن أن تخترقها الحشرات أو أي تسرب إليها للماء من خلال جدرانها، وبداخلها أنفاق متشعبة يعيش فيها النمل الأبيض وتستخدم هذه الحشرات للتخابر عن بعد نوعا من الشيفرة تشبه شيفة التلغراف، إذ تدق على جدران النفق برأسها عدة دقات فيفهم باقي النمل ما تريد عن طريق تلك الدقات الشيفرية.

أما من حيث التنظيم الاجتماعي فهي تعيش في مجتمعات تسمى مستعمرات يقدر عددها التقريبي من ٣٠ ألف إلى مليوني وخمسمائة فرد، وتتكاثر في الخريف والربيع ولونها قاتم ولها عيون ترى وأجنحة وهي خصبة وتتحول إلى ملكات وملوك لإنشاء مستعمرات جديدة.

أما الملكة وهي ناتجة من الأفراد الجنسية الخصبة ويوجد ملكة وحيدة في المستعمرة وتعمل على ربط أفراد المستعمرة جميعاً وإنتاج البيض حيث تضع حوالي ٦ بيضات في الدقيقة الواحدة، ويعيش معها ملك واحد فقط في المستعمرة، أما الجنود وهي المسؤولة عن الحراسة وحماية المستعمرة ولها فكوك قوية ومسننة الرأس ويصل عددها من (١ـ ٣٪) من تعداد المستعمرة والحشرة عقيمة وعمياء.

أما العمال وهي المسؤولة عن جميع الأضرار الناجمة عن إصابات النمل الأبيض حيث تتغذى وتقوم بتغذية جميع طوائف المستعمرة، تمثل حوالي ٩٧٪ من تعداد المستعمرة ولونها باهت وعقيمة وعمياء، ويمكن الوقاية من حشرة الأرضة بواسطة الأمور التالية:

١ ـ حرق مخلفات الأشجار والثمار المتساقطة وجذوع النخيل.

٢ ـ إزالة جميع الأخشاب المتصلة بالتربة.

٣ ـ العناية بالعمليات البستنية وإزالة الحشائش من حولها وتسميدها.

٤ ـ التخلص من الرطوبة التي تحيط بالمنازل والمباني والتي تحتوي على فطريات.

٥ ـ عمل حواجز وقائية للمنازل مما يوفر حماية مستقبلية من الإصابة بهذه الحشرة مثل المواد البلاستيكية الواقية.

---

(١) ذلك لكونها تقوم بتحطيم الأخشاب والأشجار الكبيرة بالطبيعة إلى مواد أولية أي تقوم بإعادة دورة المواد العضوية وتفكيك التربة.

صدر حديثاً

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية الكتاب الموسوم بـ (تكسير الاصنام بين تصريح النبي وتعتيم البخاري دراسة في الميثولوجيا والتاريخ ورواية الحديث) دراسة وتحليل وتحقيق السيد نبيل الحسني.

